فَهْم المقال عن أسرار نظام زكاة المال وإعطائها لمستحقّيها لنجَاح الأعمَالِ وصلاح الحال وَالـمَآلِ

2026-07-17

الحمد لله الذي لم يتركنا في تيه الماديات، بل شرع لنا من العبادات ما يزكّي النفوس، ويطهّر القلوب، ويصُون المجتمعات. وجعل شريعة الإسلام بلسماً للجراح، وحلاً لكل معضلات الزمان. فتعبّدنا باليسر، وأقام ديننا على أركانٍ متينةٍ تحفظ للإنسانية كرامتها واستقرارها. فسبحانه من إله جعل في المال حقاً للفقير لئلا تذلّ كرامتُه، وفرض على الغني سهماً لئلا تَطغى مادتُه. لهذا فرض الزكاة، فجعل في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للسائل والمحروم، ليس مِنّةً ولا تفضُّلاً، بل عدلاً وفريضة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل مصاريف الزكاة أصنافا، وبيّنها في كتابه الكريم فأنصف فيها إنصافا، ولم يتركها لبشرٍ يُسرف فيها إسرافا، ويَجحف فيها بحق السائل والمحروم إجحافا، فقال في سورة التوبة: {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ}، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وصفيّه من خلقه وخليله. المَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ، وَهَادِيًا لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ فِي ذَاتِ اللهِ، فَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ النِّعْمَةَ عَلَى المُسلِمِينَ، القائِلُ فيما رواه الترمذي: ((اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ)).

يَا أُمَّةَ المصطفى الْمَوْصوفِ في الكتبِ * وشائقين بمدْح الطّيّبِ الحَسَبِ

إنْ شئتُمُ أن تنالوا النَّجْحَ في الطَّلَبِ * وتَسْلَموا من شرور العُجْمِ والعَرَبِ

صلّوا على خيرِ مرسولٍ وخيرِ نبِي

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. إمام الزُّهَّاد والعُبّاد. وعلى آله النجباء الأفراد. وصحابته ذوي الجِدِّ والإجتهاد. صلاة تصلح بها منّا القلوب والأجساد. وتحفظ لنا بها المال والأهل والأولاد. وتبلّغنا بها من رضاك

ورضاه غاية القصد والمراد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. لعلّه يمر ببال بعضكم أحياناً سؤال محيَّر: هل الإسلام مجرَّد عبادات تُؤدّى في زوايا المساجد؟ هل هو مجرَّد طقوس روحية لا علاقة لها بحياتنا اليومية، واقتصادنا، ومشاكلنا الواقعية؟ وُالجواب يكمن في عُمْق رُكْنٍ عظيم من أركان هذا الدين، رُكْنٍ يربط السماء بالأرض، والرُّوح بالمادة، والعبادة بالإجتماع البشري. إنه نظام الزكاة. التي هي ركنٌ عظيم من أركان الإسلام الخمسة، قرنها الله تعالى بالصلاة في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، قال تعالى في سورة البقرة: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}، وقال سبحانه في سورة البيّنة: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}، وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: ((بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ شَهادةِ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ وصَومِ رمضانَ وحجِّ البيتِ لمنِ استطاعَ إليهِ سبيلًا))، وفي الحديث الصحيح قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن: ((فإن هم أطاعوك لذلك، فأعْلِمْهُم أنّ الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتردّ على فقرائهم))، أيّها المسلمون، وإن فلسفة الإسلام تجاه المال هي فلسفة فريدة ومذهلة؛ فالإسلام لا يحارب الغنى، ولا يُقدّس الفقر. بل يقول لك بكل وضوح: تملَّك، واعمل، واصنع ثروتك، فالمال عصَب الحياة. ولكن، تذكّر دائماً أنّ هذا المال ليس مِلكك المطلق، بل هو مال الله، وأنت مستخلَف فيه. ومؤتمَن عليه، والزكاة هي ضريبة هذا الاستخلاف وشُكرِه العملي. قال تعالى في سورة النور: {وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ}، وقال سبحانه في سورة الحديد: {وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}، والزكاة في فلسفتها الإسلامية هي عملية نماء وتطهير؛ تطهيرٌ لنفس الغني من داء الشح والجشع والأنانية، وتطهيرٌ لقلب الفقير من مشاعر الحقد والحسد والانكسار. فحين تُخرج زكاة مالك، فإنك لا تتصدَّق تفضُّلاً ولا مِنّة؛ بل أنت تؤدّي واجباً واكتتاباً إلهياً مقدَّساً. هذه العملية البسيطة في مظهرها، العميقة في جوهرها، هي عملية تطهير مزدوجة: تطهّر قلبك أنت كغني من الجشع

والتعلّق بالفانية، وتطهّر قلب الفقير من الغل والحقد والحسد، ليصبح المجتمع واحة أمان تتشابك فيها الأيدي حباً وكرامة، لا خوفاً وقسراً. وقد بيَّن الله تعالى أنّ الزكاة تطهّر المال وصاحبه، فقال في سورة التوبة: {خُذْ مِنَ اَمْوٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا}، ومن هذا المنطلَق، تتجلّى الزكاة كنظام إجتماعي واقتصادي متكامِل، يربط الفرد والمجتمع والدولة برباط وثيق ومحكَم؛ فالمسلم المعطي يتمرَّس على العطاء، وتتحرّك في داخله روح المسؤولية المجتمعية، والقيادة الإيجابية، والفقير الآخذ يستعيد بالزكاة توازنه وكرامته، ليكون قادراً على البناء والعمل. وينعكس هذا الأثر مباشرة على المجتمع الذي يتحوّل من غابة يتصارع فيها الأقوياء مع الضعفاء، إلى حِصْن متماسك، تسوده المودّة والتراحم؛ لأنّ الفقير حين يرى أنّ الغني يقتطع جزءاً من ماله رغماً عنه، وبطيب نفس، ليعطيه إياه، يتلاشى الصراع الطبقي، وتتحرّك دماء التكافل في شرايين المجتمع. أيّها المسلمون، وهنا يبرز تساؤل مشروع، يتردّد في عقول الكثيرين منكم، ممّن انشغلوا بظروف الحياة والعمل، أو اِلْتبس عليهم الفهم: ما الفرق بين هذه الزكاة الربانية وبين الضرائب التي تفرضها الحكومات؟ ولماذا لا تُغني الضريبة عن الزكاة؟ يا أخي، شتّان بين الأمريْن! إنّ الفرق جوهري وعميق، كفرق ما بين الخالق والمخلوق؛ فالضريبة قانون بشري وضعي، تدفعه غالباً بدافع الخوف من العقوبة القانونية والغرامة، وقد تتهرّب منه إن وجدتَ إلى ذلك سبيلاً. والضريبة تُصرف في شؤون الدولة العامة، من طرقات وجسور ومؤسسات، وأمْن ورواتب، وقد لا يرى الفقير المعدَم منها شيئاً يسد جوعه، أو يداوي مرضه. أمّا الزكاة، فهي فريضة إلهية خالدة، ورُكن أصيل من أركان الإسلام، يدفعها المؤمن طوعاً ورضا، بدافع الحب والامتنان، والتقرّب إلى الله تعالى، تحت رقابة ضميره وإيمانه، قبل أيِّ قانون بشري، ولها مصارف ربانية محدَّدة وحاسمة في كتاب الله، جعلت الفقراء والمساكين في مقدّمة من يستحقها، لضمان أن تذهب الأموال مباشرة لمن هم في أشد الحاجة إليها. قال تعالى في سورة التوبة: {إِنَّمَا اَلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِے اِلرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِے سَبِيلِ اِللَّهِ وَابْنِ اِلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ اَللَّهِۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌۖ}، فالضريبة واجب

مدني نؤدّيه لتنظيم شؤون وطننا ومؤسساته، أمّا الزكاة فهي عبادة مالية روحية، نتقرّب بها إلى بارئنا، لتطهير نفوسنا، ومباركة أرزاقنا، فشتّان بين قانون وضعي يتغيّر بتغيّر الحكومات، وبين شريعة إلهية باقية ببقاء هذا الدين العظيم. أيّها المسلمون، إنّ الزكاة لا تُقبل من الإنسان ولا تبرأ بها ذمّته حتى يضعها في المواضع التي ذكرها الله تعالى في قوله من سورة التوبة: {إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ}، هؤلاء هم الذين تُصرف إليهم الزكاة، فمَن صرف الزكاة في غير هؤلاء فإنّ زكاته لا تجزئه، ولا تبرأ بها ذمّته، وهو كمَن صلّى الظهر قبل زوال الشمس؛ لأنه وضعها في غير موضعها، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَن عمل عملاً ليس عليه أمْرنا فهو ردّ))، ولنتكلّم على ثلاثة أصناف من هؤلاء، الصنف الأول: الفقراء، والثاني: المساكين، والثالث: الغارمون، أما الفقراء والمساكين: فهما صنفان لنوع واحد من أهل الفاقة والحاجة، فإذا ذُكر أحدهما في القرآن فالمراد به ما يشمل كليْهما، فإذا اجتمعا كما في هذه الآية فالأرجح لدى العلماء أنّ المسكين هو الذي لا يملك شيئا، وأنّ الفقير هو الذي يملك شيئا ولكنه لا يكفيه، فالمسكين أشدّ حاجة من الفقير، بدليل قوله تعالى: {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ}؛ أيْ هو اللازق بالتراب من شدّة الفقر. والمقصود بالفقراء والمساكين الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ. وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ. وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ. وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ. وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ)). وهذا يشمل كثيرا من أصحاب البيوت وأرباب الأُسَر المتعفّفين، الذين غلّت النكبات أيديهم، وثقلت عليهم أعباء الحياة، واشتدّ عليهم شظف العيش، موارد رِزْقهم ضاقت عن سدّ حاجاتهم، ودَخْلهم الشهري لا يكفي مطالبهم الضرورية، ورغْم ذلك لا يسألون الناس إلحافا، إذا رآهم مَن لا يعرفهم يظنّ أنهم في يُسر وغِنى، الذين وصفهم القرآن الكريم إذ قال في سورة البقرة: {يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}. وممّا

ينبغي أن يُعلم أنّ الإنسان قد يملك نصابًا، ولكن هذا المال لا يقوم بكفايته؛ لكثرة عياله أو نفقته، فهو غنيٌّ تجب الزكاة في ماله، وفقيرٌ حيث أنّ ما يملكه لا يقوم بكفايته، فليتنبّه الفقراء لهذا؛ لأنّ البعض يظنّ أنه إذا جاز له الأخذ لا يُزكِّي ما يملكه. وهو قد يُزكِّي ويُزكَّى عليه. أيّها المسلمون. أمّا الغارمون: فالمراد به الغارم. وهو: المديون، والغارم على نوعَيْن: غارمٌ لغيره. بمعنى يستدين. أو يُعطي من ماله لأجل غيره؛ فهو أحوال: إما يتحمّل مالًا في ذمّته. أو يقترض ويدفع. أو يدفع من ماله، فهو لينفع غيره. أو يدفع شر غيره، ومنه الإصلاح بين الزوجين، والأخوين، والقبيلتين، والقريتين، فيُعطى ولو كان غنيًّا؛ لحاجتنا إليه لا لحاجته، لإطفاء فتنة. وجمْع كلمة. وكفّ فسادٍ وبلية. يُعطى تشجيعًا له لاستمراره وعونًا له، وسدادًا لماله، يُعطى تشجيعًا لغيره بالقيام بالنفع المتعدّي والإصلاح الأسري، والنفع الأخروي. والثاني: غارمٌ لحِفظ نفسه. كمن عليه دَيْنٌ لا يستطيع سداده. أو يستدين لنفقته على نفسه أو عياله أو حاجته؛ فهذا إذا كان دَيْنه على سبيل المباح فيُعطى لقضاء دَيْنه، وأمّا مَن استدان ليأخذ الزكاة وعنده ما يكفيه، وإنما هو توسّعٌ وإنفاقٌ وإسرافٌ في الكماليات. فلا يُعطى من الزكاة، ولا يجوز إبراء الغريم من الزكاة؛ فتُعطيه من زكاتك لوفاء مالك، كما يجب التحذير من التوسّع في الديون، وضرْب الصفقات، وعقْد المساهمات، والتوسعة على النفس والعيال، وإرهاق النفوس للأسفار والإستمتاع بالديون. روى مسلم في صحيحه عن قَبيصةُ بن مخارِقٍ رضي الله عنه قال: ((تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فأتَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أسْأَلُهُ فيها، فقالَ: أقِمْ حتَّى تَأْتِيَنا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لكَ بها، قالَ: ثُمَّ قالَ: يا قَبِيصَةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إلَّا لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَها، ثُمَّ يُمْسِكُ، ورَجُلٌ أصابَتْهُ جائِحَةٌ اجْتاحَتْ مالَهُ، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِن عَيْشٍ. أوْ قالَ: سِدادًا مِن عَيْشٍ. ورَجُلٌ أصابَتْهُ فاقَةٌ حتَّى يَقُومَ ثَلاثَةٌ مِن ذَوِي الحِجا مِن قَوْمِهِ: لقَدْ أصابَتْ فُلانًا فاقَةٌ، فَحَلَّتْ له المَسْأَلَةُ حتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِن عَيْشٍ. أوْ قالَ: سِدادًا مِن عَيْشٍ. فَما سِواهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ يا قَبِيصَةُ. سُحْتًا، يَأْكُلُها صاحِبُها سُحْتًا)). أيّها المسلمون. فإذا بيّن لنا القرآن الكريم الذين يستحقّون الزكاة وهم أصناف ثمانية، فإنّ العلماء قد استنبطوا من القرآن والسنّة،

الأصناف التي لا يصح أن تُدفع لهم الزكاة فجعلوها خمسة: الصنف الأوّل: الأغنياء. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما روى أبو دود والترمذي: ((لا تحل الصدقة لغني))، وأقلّ ما يُسمّى غني، أن يستطيع الإنسان أن يُنفق عن نفسه وعياله، وأن يوفِّر بعد ذلك قسطا من المال هو في غِنى عنه. الصنف الثاني: الأقوياء الذين يستطيعون كَسْب قُوتهم، والاعتماد على أنفسهم، إن وجدوا عملا، ولم تحكم عليهم كماشة البطالة قبضتها. الصنف الثالث: الملاحدة والكفار، المحاربون للإسلام سرا أو علنا، والرافضون له جملة وتفصيلا كليا أو جزئيا. الصنف الرابع: من تجب على المسلم نفقتهم، من الزوجة والأولاد والأحفاد وإن نزلوا، ووالديه وأجداده وإن علوا، لأنه إن تصدّق عليهم يكون كمن تصدّق على نفسه. الصنف الخامس: آل النبي صلى الله عليه وسلم. ممّن نسمّيهم اليوم الشرفاء. لقوله صلى الله عليه وسلم فيما روى الإمام مسلم وأحمد: ((إنّ الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، إنّما هي أوساخ الناس)). وذَكر الدسوقي في حاشيته على مختصر سيدي خليل. عند قول المصنّف: ((وَعَدَمِ بُنُوَّةٍ لِهَاشِمٍ)). قال الدسوقي: ((واعلم أنّ محل عدم إعطاء بني هاشم منها إذا أُعطوا ما يستحقّونه من بيت المال. فإن لم يُعطوا وأضرّ بهم الفقر أُعطوا منها. وإعطاؤهم حينئذ أفضل من إعطاء غيرهم. وقيّده الباجي بما إذا وصلوا لحالة يباح لهم فيها أكل الميتة لا مجرّد ضرر. والظاهر خلافه. وأنهم يُعطون عند الاحتياج ولو لم يصلوا لحالة إباحة أكل الميتة. إذ إعطاؤهم أفضل من خدمتهم لذمي أو ظالم اهـ تقرير شيخنا عدوي. وهذا كله في الصدقة الواجبة كما هو الموضوع، وأمّا صدقة التطوّع فيجوز لهم أخْذها مع الكراهة على المعتمد)). أيّها المسلمون. تحرّوا لزكاتكم. فإنها قرينة صلاتكم، وحقّقوا أمر دينكم كما تحقّقون أمر دنياكم. واسألوا أهل الذكر عمّا أنتم جاهلون. وأدّوا الزكاة طيّبة بها نفوسكم. تكونوا من الفائزين. اللهم وفّقنا لأداء ما يجب علينا من مال وعمل. على الوجه الذي ترضاه عنّا بدون عجز ولا كسل، اللهم زدنا من فضلك ما نزداد به قربة إليك ورفعة في درجاتنا إنك جواد كريم، اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتّباعه، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بِما علَّمتنا، اللهم قِنَا شحّ أنفسنا. وأعذنا من البخل. يا رب العالمين . اللهم اجعلنا مِمَّن ينفقون أموالهم ابتغاء

مرضاتك؛ إنك على كل شيء قدير بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. آمين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ